ان الزعماء الصهيونيين لاسرائيل ، والراي العام الاسرائيلي ، بالذات ، اصبحوا يجدون انفسهم — ولاول مرة منذ قيام دولة اسرائيل — وهم يواجهون قضية الحرب والسلم مواجهة تمثل خطرا حقيقيا عليهم ، وليس على اعدائهم وخصومهم العرب فقط ، وهذا وضع لم يواجهه الاسرائيليون من قبل مثلما يواجهونه الان . ذلك لانه لم يحدث من قبل ان فرضت الحرب على حياتهم الخاصة ما فرضته حرب ٦ تشرين .

فلأول مرة — منذ عام ١٩٤٨ — ذاق الاسرائيليون مرارة القتال والقتل ، وعرفوا معنى وجود الاف القتلى والجرحى والاسرى والمفقودين من ابنائهم ، واحسوا بخطر الموت يتربص بهم داخل بيوتهم وفي حجرات نومهم . وطرحت الحرب عليهم السؤال المصيري المتصل بوضعهم الحقيقي في المنطقة ، كدولة صغيرة محاصرة ، ليس في امكانها ان تصون امنها ، بل وجودها الصهيوني ، بصورة نهائية ، عن طريق الحرب والاحتلال والضم والتوسع . وهي دولة — ومجتمع ايضا — معزولة سياسيا ونفسانيا عن بقية الدول والمجتمعات في العالم ، ولا تكاد تجد التأييد الأمن جانب دول ومجتمعات معزولة مثلها .

ومن الواضح الان ان حرب تشرين قد زادت المتناقضات الداخلية (الجديدة والقديمة) في اسرائيل ، كما زادت حدة الصراعات السياسية والاجتماعية ، وابرزت عوامل جديدة في تلك المتناقضات والصراعات . اصبح الاسرائيليون يواجهون الموت لاول مرة وجها لوجه ، وانتهت اسطورة السوبرمان الاسرائيلي .

وقبل حرب تشرين ، كان في استطاعة قادة اسرائيل ان يملوا اختيارات الحرب والسلام لانهم كانوا يحتكرون (او كانوا يظنون انهم يحتكرون) امكانيات شن الحرب والقدرة على أن يقرروا — مسبقا — نتائجها . اما الان ، فلعلهم يكونون قد وصلوا الى ادراك ان شن الحرب ليس ميزة وحيدة لهم ، وان نتيجة اي حرب بينهم وبين العرب قد لا تكون — بالضرورة — وفق توقعاتهم ورغباتهم .

واذا حكمنا على الامور والمناقشات الواسعة الجارية داخل اسرائيل ، فقد تنتهي الى نتيجة ان مزيدا من الاسرائيليين يدركون أكثر فأكثر ان نظامهم السياسي — الاجتماعي الراهن ، وقياداتهم الحالية ، والبنيان الصهيوني لدولتهم ، لا يكفل لهم سلاما دائما ، ولا يضمن حربا منتصرة ، على حد سواء .

ان هذا النظام السياسي — الاجتماعي ، وتلك القيادات ، والبنيان الصهيوني لم يعد يضمن لهم سوى حياة غير آمنة يظللها الموت كحقيقة من حقائق الحياة اليومية . كما انه قد دفع بهم وبآمالهم في الحرية والعدالة الى ما تحت الحذاء الثقيل للسيطرة الاميركية ، والى قيود المزيد من التبعية للامبريالية ، واصبحوا مهددين الان بأن يتحولوا الى فيتنام جنوبية .

ومن الارجح ان تكون حرب تشرين قد اسفرت عن اضعاف ثقة الاسرائيليين في مؤسستهم العسكرية ونظامهم السياسي وبنية مجتمعهم ونسف ايديولوجيتهم وفكرهم.

ان فلسطين التي يعيشون فيها الان ويموتون هي — بكل المعايير والمقاييس — للفلسطينيين ، عربا ويهودا . والفلسطينيون هم وحدهم القادرون — حقا — على وضع حجر الاساس لمستقبل سلامي دائم وعادل .

*

ولقد كشفت حرب تشرين عن ايجابيات هامة للوضع الفلسطيني تمثل في ثلاثة انجازات رئيسية :